

جوانب من مظاهر الاحتفال لدى المجتمع التونسي خلال فترة الاستعمار الفرنسي: أبعادها الاجتماعية والأنثروبولوجية.

فتحية بلحاج.

- جامعة تونس (تونس).

- البريد الإلكتروني: fathiabelhaj27@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2025/03/11؛ تاريخ القبول: 2025/06/03؛ تاريخ النشر: 2025/06/15.

الملخص:

أعار الباحثون الفرنسيون أثناء الفترة الاستعمارية للبلاد التونسية اهتماما كبيرا بالعادات والتقاليد التي يمارسها التونسي يوميا. وقد تدعم هذا التوجه بعد تطور المناهج في العلوم الاجتماعية المتعلقة بهذا الميدان. ومنذ 1881 تاريخ احتلال البلاد التونسية انطلقت الكتابات حول الاحتفالات سعيا وراء الحصول على معرفة أفضل للمجتمع بشكل عام والمجتمع المحلي بشكل خاص وتمكن هؤلاء الكتاب من رصد هذه الظواهر والاطلاع عليها، فكان الاهتمام بالمناسبات العائلية، فبين الاحتفالات بموسم الحصاد والمراحل التي يمرّ بها على غرار طلب الغيث، دون أن يغفلوا عن المناسبات الدينية مثل الاحتفال بعاشوراء.

مع الإشارة إلى أنّ هؤلاء الباحثين الفرنسيين الذين كتبوا في هذه المسألة لم يكن جميعهم من ذوي الاختصاص، بل هناك من شغل

خطة مراقب مدني ومنهم من الضباط المترجمين.
فكيف تم الحديث عن هذه الاحتفالات من قبل الباحثين
الفرنسيين أثناء الفترة الاستعمارية؟ وما هي نقاط التباين في هذه
المناسبات سواء بين الجهات أو بين طبقات المجتمع؟
الكلمات المفتاحية: الاحتفالات؛ البلاد التونسية؛ الفترة الاستعمارية؛
الكتاب الفرنسيون؛ الأنثروبولوجيا.

Abstract:

During the colonial period in Tunisia, French researchers paid significant attention to the customs and traditions practiced daily by Tunisians. This focus intensified with the development of methodologies in social sciences related to this field. Since 1881, the year of Tunisia's occupation, writings on celebrations began as an endeavor to gain a better understanding of society in general and the local community in particular. These writers were able to observe and record these phenomena, with particular emphasis on family events, such as the celebrations of the harvest season and the stages it goes through, including the plea for rain, while not overlooking religious events such as the commemoration of Ashura.

It is worth noting that not all of the French researchers who wrote on this matter were specialists; some held positions as civil observers and others as translated officers.

How did French researchers discuss these celebrations during the colonial period? What are the differences observed in these occasions, whether between regions or among social classes?

Keywords: Celebrations; Tunisia; Colonial period; French writers; Anthropology.

مقدمة:

يُعدّ الحديث عن الظواهر الاجتماعية والعادات والأجواء

الاحتفالية مجالاً غنياً ومتعدد الأبعاد، يتداخل فيه علم الاجتماع والأنثروبولوجيا مع الجوانب النفسية والسلوكية والتاريخية، حيث تلعب التراكمات الجماعية دوراً محورياً في تشكيل هذه الظواهر، متجاوزة إرادة الأفراد.

لقد أولى المستشرقون، لا سيما الفرنسيون، اهتماماً خاصاً للمظاهر الاحتفالية في تونس منذ عام 1881، مستفيدين من تطورات العلوم الاجتماعية ومن المناهج البحثية التي ركزت على الثقافة الشعبية المتنوعة. شكّل هذا التوجه جهداً واضحاً من الباحثين الفرنسيين لفهم أعمق للمجتمع التونسي من خلال دراسة الاحتفالات المختلفة.

في هذا السياق، تثار أسئلة حول كيفية قراءة هؤلاء الباحثين لهذه الاحتفالات وتحديد الحدود الاجتماعية والجغرافية التي تحكمها، مع التركيز بشكل محدد على الاحتفالات العائلية كحفلات الزواج، والاحتفالات الدينية والفلاحية، معتمدين على نماذج تمثل كلّ فئة منها.

سنقتصر في مداخلتنا هذه على ما ورد في كتابات الفرنسيين المتواجدين بالبلاد التونسية أثناء فترة الاحتلال والذين عاينوا على الميدان وعاشوا مجمل هذه المظاهر الاحتفالية لدى التونسي، سواء كانت هذه الاحتفالات دينية أم عائلية، أم فلاحية.

واللافت أيضاً في هذا الخصوص أنّ من كتب في هذه المسألة لم يكن جميعهم من ذوي الاختصاص، بل كانوا مختصين في علم الاجتماع أو الأنثروبولوجيين، بل منهم من شغل خطة مراقب مدني وجغرافي مثل شارل مونشيكور (Ch. Monchicourt) وبعض الضباط المترجمين مثل مانويار (Menouillard) وهذين الأخيرين كتب

بشكل متواصل في مجلة *La Revue Tunisienne* خاصة في العشريتين الأولى والثانية من القرن العشرين (وبدأ صدور هذه المجلة سنة 1894). كما سنتعرض إلى الكتابات التي كانت أكثر علمية والتي وردت في مجلة "إبلا" (*IBLA*) (أنظر التعليق:1) بداية من سنة 1937، وأيضا "وليام مارسسي" (*William Marçais*) في كتابه: "*Les Textes Arabes de Tekrouna*" (أنظر التعليق رقم:2).

I / احتفالات الزواج:

1 - احتفالات الزواج في الوسط الحضري:

إن الحديث عن المناسبات العائلية وفي مقدمتها الزواج من أكثر الاحتفالات التي تبدو فيها الحدود واضحة دون موارد أو لبس. وأولى تلك الحدود التي تبدو جلية تلك التي تبرز داخل الوسط الحضري (الاجتماعي) الميسور.

فما يشد الانتباه بالنسبة للفرنسيين عند زيارتهم واستدعائهم لمثل هذه المناسبات هي الشكل المعماري الداخلي والخارجي المتميز. يُحيلنا هذا الانطباع الأولي بشكل مبكر عن كيفية احتفالات الزواج داخل الأسر الحضرية الميسورة، ومدى الإمكانات والفرص المتاحة للاختلاط داخل الحضريين من الجنسين، وهذا في حد ذاته حدّ مهمّ وجب الإشارة إليه منذ البداية في احتفالات الزواج.

كما تبدو هذه الاحتفالات لدى بعض العائلات الميسورة مكلفة إلى حدّ كبير، حيث تُبرز الوجاهة والفخامة، فبخلاف الأثاث الموجود الذي يذكرنا «بقصص ألف ليلة وليلة» (HARRY, M. 1910: 131) كانت تقام المأكولات التي يقع إعدادها لمثل هذه المناسبة الفارق بين العائلات

وتجعل منه حديث الخاصة والعامة، فنحن هنا أمام «مأدبة توجد بها كل أنواع الحلويات والمعجنات» (HARRY, M. 1910: 136)

وما يعطي صبغة رسمية ووجاهة اجتماعية لافتة في مثل هذه المناسبات هو حضور شيخ الإسلام الذي يُحظى بمكانة خاصة وهو «الذي يفتتح المأدبة ويترأسها» (HARRY, M. 1910: 137)

ويعبر حضور شيخ الإسلام في مثل هذه المناسبات الاحتفالية الخاصة عن الوضعية الاجتماعية التي تمثلها هذه العائلة، ويضع حدا واضحا في مثل هذه المناسبات بين فئة اجتماعية وأخرى، ويسلط الضوء على القيمة الاعتبارية لبعض العائلات الميسورة والنافذة سياسيا ودينيا. ومن الإشارات الأخرى التي تبرهن على المكانة الاجتماعية لهذه العائلة الحضرية، أو إحدى العائلات البلدية هو تواجد الفرقة الموسيقية التي جاءت لإحياء حفل الزفاف، «وعادة ما تكون عناصر هذه الفرقة من اليهود الغير مبصرين (العميان)» (HARRY, M. 1910: 138)

ويعكس حضور شيخ الإسلام والفرقة الموسيقية والإسراف في أنواع الطعام عناصر مهمة في احتفالات الزواج هذه، ويعكس بكل وضوح الانتماء الطبقي والحضري لمثل هذه العائلات الأرستقراطية بمدينة تونس، أي أنّ هذا النموذج يقتصر على مجال جغرافي محدد ألا وهو مدينة تونس.

2 - احتفالات الزواج في الوسط الريفي أو البدوي:

مثلت احتفالات الزواج المقامة في الوسط الريفي أو البدوي (أي غير الحضري) اهتمام الدارسين من الفرنسيين، باعتبار أنّها كانت تمسّ فضولهم خاصة أنّ هذه الاحتفالات تختلف من جهة إلى أخرى، رغم الاشتراك في الكثير في المظاهر الاحتفالية وخاصة في الأرياف

والبوادي، فقد لاحظ الفرنسيون الاستعمال المكثف لإطلاق النار من البنادق «وهو يمثل أهمّ مظهر احتفالي بهذه المناسبة، ففي مطماطة (أنظر التعليق رقم:3) مثلاً يبدأ هذا المظهر الاحتفالي قبل ثلاثة أيام من انطلاق الزواج تسمع أولى الطلقات النارية من البنادق» (Menouillard, H. 1902: 372).

كما «تطلق الاحتفالات قبل أسبوع من موعد الزواج إذ يقوم العريس بمغادرة بيت أهله خجلاً واحتراماً، لكن يبقى اليوم الأهمّ هو يوم الزفاف حيث تكون مظاهر الاحتفال واضحة وإطلاق النار من البنادق مكثّفاً. وبعد الظهر تصل الجحفة (أنظر التعليق رقم:4) (ويقودها رجل)، وتكون محاطة بأغطية سميكة حتى لا تقع مشاهدة العروس» (Menouillard, H. 1902: 372). وتصدر العروس على إيقاع الأغاني والزغاريد وإطلاق النار، ثم يستعرض الشبان مهاراتهم في مسك البنادق وكيفية التعامل معها، كما يقوم الفرسان بعرض فرجوي أمام جحفة العروس قبل أن يتمّ نقلها مع غروب الشمس إلى بيت العريس.

ويبقى هذا المشهد الأبرز في هذا الجو الاحتفالي هو تقديم الطعام للحاضرين مع وصول الجحفة إلى بيت العريس «حيث نلاحظ في الأثناء تقديم أطباق من الكسكسي التي يتجاوز قطر الواحد منها المتر (الواحد)» (Menouillard, H. 1902: 374). ورغم انتظار المدعوين لمثل هذه المناسبات لتقاسم الأكل والمشاركة في الوليمة إلا أنّها تبرز أنفسهم في عدم التقدّم للأكل إلا بعد إلحاح متكرّر من صاحب الدار. رغم أنّنا نتحدّث عن الزواج البدوي المتواجد داخل الجنوب التونسي وفي منطقة مطماطة تحديداً إلا أنّنا نجد حدوداً واختلافات في طريقة الاحتفال رغم الانتماء إلى نفس الجهة، فهناك بعض التفاصيل

الدقيقة هي التي تميّز هذا الحدّ. فلدى قبيلة ورغمة (أنظر التعليق رقم 5) وعكّارة (أنظر التعليق رقم: 6) (من منطقة جرجيس) تكون الاحتفالات بهذه المناسبة بارزة ولديهم تفاصيل تنفرد بها منطقة جرجيس (أنظر التعليق رقم: 7) ألا وهي "رقصة الشّعْر" (أنظر التعليق رقم: 8).

ففي عكّارة عادة ما يختار الشاب الفتاة التي تناسبه وعادة ما تكون «الطريق المؤدية لجلب الماء هي المكان الأنسب للتعرف على شريك المستقبل» (Menouillard, H. 1905: 3).

مع بداية الاحتفال بالزواج يقع تحضير مكان الحفل من قبل الفتيات وبحضور ومساعدة الشبان دون تسجيل أيّ اعتراض من قبل العائلات.

يمثل تركيز الخيمة التي يقيمها الأهل للدخلة أهمّ حدث احتفاليّ حيث يقع إعدادها قبل أربعة أيام ويُشترط أن من يقوم بهذه العملية هنّ النساء المطلّقات أو الأرامل.

تقوم مجموعة من أصدقاء العريس بمرافقته إلى البراري لجمع الحطب حيث يتمّ تجميعه ووضع أمام الخيمة، ليستخدم لاحقا لإضاءة مكان الحضور.

في يوم الكسوة، يجتمع أصدقاء العريس المتزوجون مشكّلين حلقة حول الحطب الذي وقع تجميعه ويتمّ إشعاله، في الأثناء تأتي العروس صحبة مجموعة من صديقاتها لتتوسّط هذه الدائرة، بجانبها فتيات جالسات في شكل نصف دائري والنصف الآخر من الدائرة متكوّن من الشبان الحاضرين.

يقع ترديد الأغاني «أمّا العروس فتكون جالسة على ركبتها صحبة مجموعة من صديقاتها مسدلات شعورهنّ على أكتافهنّ

كاشفات على وجوههن أمام الجميع، ويبدأن بإمالة وتحريك شعورهن تارة على اليمين وأخرى على الشمال ومن الأمام فالخلف» (Menouillard, H. 1905: 8)، بينما يصطفّ أمامهنّ الرجال يتوسّطهم الشاعر ومساعداه وتتعرّج الفتيات والعروس في رقصة على نغمات المغني وتُسمّى بـ"رقصة الشّعْر".

إذا عدنا إلى أبعاد هذه الاحتفالات في علاقة بما هو موجود وسائد في المجتمع التونسي أثناء فترة الاحتلال الفرنسي، فإننا نلاحظ عادات واحتفالات استثنائية تفتح المجال للشبان لاختيار زوجاتهم، كذلك الأمر بالنسبة لرقصة الشعر، فهي لا تمثل حداً فقط بين منطقة وأخرى في الجنوب التونسي (مثلا الاحتفالات التي تمّ ذكرها تهمّ مطماطة والحضري مثلتها مدينة تونس في احتفالات الزواج) بل هي حدّ واستثناء داخل مجال معيّن بكامل البلاد.

تُعدّ مظاهر الاختلاط والتلاقي بين الجنسين، بالإضافة إلى الرقص والغناء، جزءاً لا يتجزأ من الاحتفالات العائلية، حيث تعكس هذه الممارسات بهجة المناسبة وتساهم في خلق أجواء من الفرح والسرور. وتمثل هذه الأنشطة أشكالاً تعبيرية عن الفرح تتجاوز الحدود التقليدية، ممّا يضيف على الاحتفال طابعاً مميزاً ومبهجاً.

وإذا ما انتقلنا إلى منطقة أخرى من البلاد التونسية، وتحديدًا منطقة تكرونة (أنظر التعليق رقم:9)، سنجد تشابهاً في احتفالات الزواج لكن نجد في الآن نفسه حدوداً لما تمّ ذكره فبالرجوع إلى "النصوص العربية لتكرونة" (*Textes arabes de Tekroûna*) لـ"وليام مارسّي" (W. Marçais) الصادرة سنة 1925 بمساعدة عبد الرحمان قيقّة والتي جاءت نصوصها وكأنّها شهادة حيّة عن الحياة التي يخوضها سكّان هذه

القرية بما فيها احتفالات الزواج حيث وقع التركيز على تحضيرات العروس وتفاصيل خروجها من منزل أبيها إلى منزل زوجها حيث تقوم العروس بالدوران حول نفسها 7 مرات، كما تقوم بتناول الكسكسي من الإناء الذي أحضرته عائلة العريس. يقول "وليام مارسى" (W. Marçais) في هذا الصدد: «شقالة كسكسي فيها لحمة وذراع، الحنّانة تاكل الكسكسي واللّحمة والعروسة تاكل كان الذراع باش تتوسّد ذراع راجلها» (MARÇAIS, W. & GUIGA, A.R, 1925: 160). وتغادر العروس بيت أهلها مع وقت آذان العشاء.

هذه التفاصيل الاحتفالية وإن بدت هامشيّة وغير ذات بال إلاّ أنّها تعكس مخزوننا ذهنيا ونفسيا يترجم في النهاية بممارسة سلوكيّة (MARÇAIS, W. & GUIGA, A.R, 1925: 160).

تجسّد قرية تكرونه مثالا حيا على الارتباط الوثيق بين السلوك الإنساني والنطاق المكاني، وهي قرية جبلية من قرى الساحل التي يمتزج فيها الطابع الحضري (القرب من مدينة سوسة) بالطابع البدوي، وبالتالي فإنّ طريقتها في التعبير عن الاحتفال بالزواج تبدو مختلفة، وهذا راجع باستعمال مادّة لغويّة «حوارات عادة ما تكون مستثناة من اللغة العربيّة» (العروي، عبد الله، 1984: 211-212) أي اللغة الرّسميّة. ولئن مثل الزواج قاسما مشتركا بالنسبة لكلّ الناس إلاّ أنّ مظاهر احتفالاته مثلت حدودا واختلافات داخل المجتمع الواحد سواء كانت هذه الحدود اجتماعيّة (بدوي، حضري، غني أو فقير) أو مجالية بين الحاضرة والساحل والجنوب وحتى داخل الجنوب، يمكن أن نجد اختلافات وحدودا أخرى.

II - الاحتفالات المتعلقة بالنشاط الفلاحي:

بالنظر إلى اعتماد أغلبية التونسيين على النشاط الفلاحي كمصدر أساسي للرزق والمعيشة، فقد حظي هذا القطاع بأهمية قصوى ومكانة تفوق أي مجال آخر في البلاد.

لا يمكن فصل الزراعة عن الاحتفاء بالحياة، فالأفعال الزراعية ليست مجرد ممارسات، بل هي احتفال مستمر بأهمية الغذاء والعيش الكريم، في ظلّ مناخ تونسي متوسطي يخضع للتقلّبات وعدم الاستقرار، فيتعاقب فيه الخصب والجذب، وإن كان هذا الأخير هو المائل والحاضر أكثر في مخيلة الناس «فيتحوّل فيه الجوع والعطش الماديان إلى عنصر تراجيدي يؤلّد معجزة تختزل صراع أقوام في تدبير معاشها» (الميساوي، سهام الدبابي، 2009: 473).

تُضفي الظروف المناخية القاسية على الأعمال الزراعية طابعا احتفاليا، فبتنوّع الأنشطة تتسع الآفاق، ومع الانتقال بين المناطق الجغرافية تبرز الاحتفالات والفوارق الثقافية.

1 - موسم جزّ الخرفان:

يُعتبر موسم جزّ الخرفان من الأنشطة الفلاحية التي تُحظى بمشاهد احتفالية هامة، فقد اعتبر جزّ الخرفان عيدا لأنها «عملية تقع سنوياً، وعادة ما تكون قبل فصل الصيف» (Menouillard, H.) 1906: 117.

في فصل الربيع، يقع جزّ الخرفان لأنها تبدأ بالتلملم مع ارتفاع درجة الحرارة، فالصّوف الذي يغطّي جلد الخرفان يزيدها حرارة مع دخول فصل الصيف، فهذه العملية مرتبطة إلى حدّ كبير بارتفاع درجة الحرارة.

وكلّ منطقة في البلاد التونسية لها توقيتها الخاصّ ويقع ضبط روتنامة في هذا الغرض تكون منسجمة مع أحوال الطقس وارتفاع درجة الحرارة، وباعتبار أنّ هذه الأخيرة تتغيّر من الشمال إلى الجنوب، وتبدأ هذه العملية بشكل مبكّر في الجنوب، ومتأخّر نسبياً في الشمال.

حسب مانويار (Menouillard) «فإنّها تبدأ بالنسبة لقبيلة عكار في 20 أفريل وهي عبارة عن مناسبة كبرى للاحتفالات... يتمّ فيها استدعاء الأصدقاء والأحباب» (Menouillard, H. 1906: 114). ففي مثل هذا اليوم يتمّ الخروج فيه عن المألوف والسائد من تغيير في الأكل ومرح وأهازيج وأغاني.

يمكن أن نلتبس بعض الأبعاد التي تبدو واضحة في عملية الجزّ، فالتوقيت والروتنامة مختلفتين، فهي تبدأ مبكّرة في الجنوب وتحديدًا منطقة عكّارة أي أواخر شهر أفريل، ومتأخّرة عن هذا التوقيت في الشمال.

يتجسّد هذا البُعد بشكل مختلف وطريف في هذه الاحتفالات، فالأغاني التي تردّد للنعاج ليست هي نفسها التي تردّد للكباش مثال: بالنسبة للشاة:

«هاتْ هالي بركوسه *** وأجلامْ سُوسَه

هاتْ هالي حوليَا *** والأثيا بنت لدرعْ بوليّه»

بالنسبة للكباش:

«الكبشْ لدرعْ بوقلاده *** يابَا الغراده»

واللبسيه اللي عاده *** الكبشْ لدرعْ بُودخدوخْ

يا واسعْ الدوخْ *** يابا تتضجرْ مجروحْ»

(Menouillard, H. 1906: 119-120) .

وتقوم زوجة صاحب القطيع بتقديم البسيصة إلى الكباش الأضخم وتلطّخ وجهه بها وتوزّع البقيّة على الأطفال والنساء. وما يزيد الاحتفالات بهجة هو تلطّخ وجه الراعي الذي قام بعملية الجزّ بالبسيصة، «وهذه الحركة تضيف مزيداً من البهجة لدى جموع الحاضر» (Menouillard, H. 1906: 120).

هذه الاحتفالات والأجواء التي وجدت في الجنوب وبالنسبة لمربين ورعاة عاديين من المنطقة نجد لها ما يوازيها في جهات أخرى. فمثلاً نجد أجواء احتفالية أخرى تصاحب جزّ قطيع أحد أبرز وجوه السلطة ويمثّل الطبقة الأرستقراطية ألا وهو مصطفى خزندار «الذي كان بحوزته ما يقرب من 12000 رأساً من الغنم، ويتمّ بهذه المناسبة استدعاء كلّ الأعيان والعائلات العريقة والمعروفة كما لا ينسى بهذه المناسبة أن يقوم بدعوة رعاة أغنامه والسّاهرين على ماشيته» (Menouillard, H. 1906: 120).

تتواصل احتفالات مصطفى خزندار أياماً متتالية تكون فيها الفرص سانحة للفقراء لنهب الصوف وسرقته، ويذكر مانويار (Menouillard) أنّ مصطفى خزندار كان على علم بهذه الممارسات التي تقع أثناء عملية الجزّ دون أن يتخذ فيهم أيّ إجراء رادع.

إذا الفارق في القطيع بين الشريحتين مختلف والحدود في مستوى الاحتفالات واضحة من تناول البسيصة (أنظر التعليق رقم: 10) واستعمالها لإضفاء مزيد من البهجة على عملية الجزّ إلى موائد تنصب ومآدب تقام على شرف العائلات الميسورة وأعيان الطبقة الحاكمة بالبلاد التونسية، وبين قطيع بسيط يتمّ جزّه بالجنوب، إلى جيوش وجحافل من

الأغنام يتمّ جرّها إلى درجة أنّ الاحتفالات بهذه المناسبة تتواصل لأيّام متتالية.

2 -الاحتفالات بموسم الحصاد:

تبلغ الأجواء الاحتفالية أشدها في الموسم الفلاحي مع الحصاد وما يرافق ذلك من أشغال، ومن خلال نصوص وليام مارسلي وعبد الرحمان قيقّة في كتابه "*Les textes arabes de Tekroûna*" نتبيّن كيف أنّ موسم الحصاد بالنسبة لأهالي قرية تكرونة يمثل احتفالا ومناسبة للفرح ومشاركة الآخرين أفرحهم، بل إنّ الاحتفالات بموسم "الحصاد" وبـ "المعونة" تتزامن مع فصل الصيف وهو فصل يتوّج فيه موسم الحبوب. في هذه الفترة تتمحور المصطلحات والحوارات والمشاكل حول المحصول من مادّة القمح أو الشعير وعن «خرجة البركة»، فعندما يشارف الفلاح على نهاية حصاده يقولون إنها "خرجة البركة"، وكلّ الأهالي يشاركون في هذه الخرجة لأخذ بعض السنابل المباركة وسط زغردة النسوة.

تتعالى أصوات غنائية في خرجة البركة مُردّدة: «هاذي خرجة باريكْ له... والآخرون يردّون عليه: هاذي خرجة البوهالي باريكْ له باريكْ له هاذي خرجة بوفرنين باريكْ له باريكْ له» (MARÇAIS, W. et GUIGA, A.R, 1925:58). بما أنّ "الخرجة" التي على ضوئها سيقع اختتام موسم الحصاد ومعرفة المحصول فمن الطبيعي أن تكون مُفعمة بأجواء احتفالية وطقوسية.

تستمرّ أجواء الحصاد الاحتفالية في مناطق عديدة، ففي إطار ما يُعرف بـ "المنذرة" (أنظر التعليق رقم:11) وأثناء عملية الدرس، يُقام تقليد ذبح الأضاحي، سواء خروفاً أو عجلا كما هو شائع في منطقة

"خمير" (أنظر التعليق رقم:12). ويتم طهي اللحم وتوزيعه على المشاركين والجيران، فيما يعرف بـ "زردة الصابة" أو "المندرة"، تعبيراً عن الشكر والامتنان على موسم الحصاد الوفير: «إنشاء الله كل عام صابة» (MARÇAIS, W. et GUIGA, A.R, 1925:58)

كما تتواصل نفس الأجواء مع "التذرية" (أنظر التعليق رقم:13)، ثم يتم تعبئة الحبوب في الأكياس، وتعتبر هذه الأخيرة من أكثر المراحل التي تتسم بالحذر والتحفّظ، ولا ترافقها ولا يصاحبها ضجيج، نظراً لدقّة الموقف، ومثل هذه الأشياء تقع "بستر الله" إلى درجة أنّ عمليّة عدّ الصابة «لا تتمّ إلاّ عند الظهر أي القيلولة أو في الليل» (LETELLIER, G. 1937 : 54). ممّا تقدّم يمكن ملاحظة التالي:

أنّ الاحتفال خلال النشاط الفلاحي وتحديدًا أثناء موسم الحصاد في جميع مراحلها، وهذه الاحتفالات وإن وجدت في أغلب جهات البلاد إلاّ أنّ أهميتها وثقلها المعنويّ يكون أكثر في مناطق الشمال التي هي بالأساس خزّان الحبوب بالنسبة للبلاد أين تكتسي زراعة الحبوب أهمية كبرى، وكما شاهدنا أنّ حدود هذه الأهميّة تختلف باختلاف الجهة وهي تكتسي أهمية كبرى بالشمال، ولذلك نجد "زردة الصابة" التي تمّ فيها ذبح عجل، وتتضاءل مظاهر هذا الاحتفال مع التوجّه نحو الجنوب أين يتقلّص هذا النشاط. كما أنّ حدود المصطلحات المتعلقة بالحصاد تختلف حسب الجهات، فنجد "المندرة" أو "الفاعة"، كما نجد مصطلح "زردة الخرجة" (أنظر التعليق رقم:14) و"زردة البركة" (أنظر التعليق رقم:15).

ولئن مثل هذا الاختلاف في التسميات حدوداً مرتبطة بالعوامل الطبيعية والمناخية فإنه يعكس أيضاً حدوداً ثقافية.

3 - طلب الغيث أو أمّك طنقو:

لا تقتصر مظاهر الاحتفال على المواسم الزراعية، سواء في بدايتها أو نهايتها، بل تتعداها لتشمل جوانب أخرى ذات أبعاد مختلفة. فالاحتفاء لا يقتصر على الخصوبة والعطاء ووفرة الإنتاج الزراعي، بل يمتد ليشمل الاحتفاء بالجذب بهدف طرده، وسنوات القحط والجفاف بهدف إبعادها واستبدالها بطقوس تساهم في هطول الأمطار.

ومن بين هذه العادات والطقوس الاحتفالية التي تحدّث عنها الكتاب الفرنسيون هي "أمّك طنقو" ومن بينهم هنري مانويار (*Menouillard*) الذي تحدّث عن هذا التقليد المرتبط بالنشاط الفلاحي والذي يأتي نتيجة انحباس الأمطار.

يهمّ هذا الاحتفال الفلاحين أساسا، وبما أنّهم يمثلون القطاع الأوّل على مستوى التشغيل، وبما أنّ بنية المجتمع تعتمد أساسا على المزارعين وعلى ما يقدمونه من مساهمات في تغذية السكّان، فتكون الأرزاق والحياة مهدّدة جراء الجفاف، فجاء الحلّ في "الاحتفال" بـ"أمّك طنقو"، ورغم أنّ هذا الطقس قديم إلا أنه يختلف من جهة إلى أخرى ولا تقف حدود الاحتفال به على نفس الممارسات في كلّ الجهات.

ففي قفصة مثلا، يقمن الفتيات بين 8 سنوات و11 سنة بكساء عصا طويلة في ثياب امرأة ويقع الطواف بهذه الدمية في أنهج وأزقة المدينة مرددات أغاني وزغاريده:

«أمّك طنقو

بسّخايها

طلبت ربّي

ما خيّبها» (Menouillard, H. 1910: 303).

كما يقع التوقّف أمام كلّ منزل، فتُلقى صاحبه الماء على تلك العصا المغطاة بالقماش "أمك طنقو" وتقديم القليل من القمح والشعير لهؤلاء الفتيات.

ورغم أنّ هذا التقليد موجود في كامل البلاد، فإنه يختلف حتى في نفس الجهة بخلاف ما تمّ ذكره في قصّة، فإنّ حدود هذه الاحتفالات مختلفة بمطماطة، حيث يتمّ طلب الغيث انطلاقاً من مقام الوليّ الصالح "سيدي مبارك" حتى تكون العمليّة أكثر خشوعاً، ويكون الذهاب إلى الوليّ مشياً على الأقدام حفاة، وبما أنّ الطريق إلى هذا الوليّ مشبعة بالحصى فإنّ هذا السلوك يمثل عقوبة بحدّ ذاتها؛ «كما أنّ تقاليد هذه المنطقة تفرض خروج القايد والشيخ وأعيان القوم في صدارة هذه الخرجة أو الموكب، والعامّة من الخلف» (Menouillard, H. 1910:303).

لقد تحدّث مانويار عن حادثة طريفة وقعت في هذه المدينة «حيث خرج الخاصّة بما فيهم القاضي والقايد في مقدّمة الموكب والعامّة من الخلف، ولاستهناض المجموعة لتسرع في سيرها قامت برمي هؤلاء المسؤولين بالحصى، وقد وجد الأطفال استمتاعاً بهذه العمليّة فانهالوا عليهم بشكل متواصل فوصلوا إلى الوليّ وهم ينزفون دماً» (Menouillard, H. 1910:304).

يُعدّ مقام "سيدي بولابة" في منطقة قابس مركزاً محورياً لإقامة طقوس طلب الغيث، وذلك استناداً إلى الاعتقاد السائد بأنّ التقاء البُعد الروحيّ بالمناسبات الدينية يُساهم في تسريع وتفعيل استجابة السماء للدعاء.

ففي تطاوين يخرج الأطفال في مجموعات يجوبون الأحياء وهم يردّدون أهازيج وأناشيد خاصة بهذه المناسبة:

«حَنِّ عَلَيْنَا يَا مَعْبُودُ

الرَّزَّيْعَةُ تَحْتَ الطَّوْبِ

يَا رَبِّ أَعْطِنَا بِالنَّوِّ

أ هي جات توتو» (Menouillard, H. 1910: p305).

تُثير ممارسة طقوس الاستسقاء الشعبية كاستخدام "أمك طنفو" عدة ملاحظات حول أبعاد هذا الاحتفال:

- حيث نجد بعض الجهات تعتمد في طلب الغيث على الحضور النسوي أو حضور المرأة بشكل عام بما أنها تمثل رمزا للخصوبة والعطاء.

- في حضور الأطفال بما أنهم يمثلون البراءة والطهارة، وهاتين الخصلتين لا بد من توفرهما في هذه المناسبة.

- الحد الثالث هو حضور الولي وهو حضور رمزي ومعنوي تواجهه ضروري في مثل هذه المناسبة حتى يضفي الشرعية والقداسة على مثل هذه الممارسة.

يمكن اعتبار الاحتفاء بهذه المناسبة تقليدا عريقا يعود إلى جذور النشاط الزراعي نفسه. ومع ذلك، يتباين شكل الاحتفال وأهميته تبعاً للدور الذي يلعبه النشاط الزراعي في كل منطقة. هذه الاختلافات، وإن بدت طفيفة للوهلة الأولى، قد تحمل دلالات جوهرية عند فحصها بدقة متناهية، مما يسمح بتسليط الضوء على الخصائص المميزة لكل منطقة في ممارسة هذا الطقس.

III - الاحتفالات الدينية:

لقد استحوذت الاحتفالات الدينية على اهتمام الباحثين الفرنسيين خلال الحقبة الاستعمارية، وذلك لما تمثله هذه الاحتفالات من أهمية بالغة

في حياة المسلمين، وما تحمله من خلفيات ثقافية ودينية عميقة. سعى الباحثون إلى فهم هذه الطقوس ومظاهرها المتنوعة، واستكشاف دلالاتها الاجتماعية والروحية لدى المجتمعات الإسلامية الخاضعة للاستعمار. «للقصد الخفي الذي حرك البعض منهم (أي الفرنسيين) هو أن يتعرفوا إلى الكيفية التي تخوّل لسلطة الحماية من أن تستعمل ما أمكن استعماله لصالحها» (بشروش، توفيق، 2013: 58)، لقد سعت إلى فهم المجال الديني والتموقع فيه وذلك بفهم طقوسه واحتفالاته وما يمثله كلّ ذلك من ذهنية ممارسية.

1 - الاحتفال بعاشوراء:

يُعدّ عيد الفطر (أو العيد الصغير)، الذي يتبع شهر رمضان المبارك، وعيد الأضحى، المرتبط بشعائر الحجّ، من أهم المناسبات الدينية الاحتفالية في الإسلام. بينما تُعتبر الاحتفالات والمناسبات الدينية الأخرى ذات أهمية أقلّ بالمقارنة مع هاتين المناسبتين الرئيسيتين، حيث يمثل العيدان محطّ تركيز واهتمام المسلمين في جميع أنحاء العالم، وتتجسّد فيهما مظاهر الفرح والتآخي والتكافل الاجتماعي.

ومع ذلك يبقى يوم عاشوراء الذي يوافق العاشر من محرّم والذي تزامن مع معركة كربلاء ومقتل الحسين، مناسبة تعني الكثير بالنسبة للطائفة الشيعية، ولا تعني الكثير بالنسبة للتونسيين، إذ هم غير مدركين للتفاصيل والأحداث التي وقعت «لكنهم يمارسون طقوسا احتفالية بهذا اليوم وإن لم تكن بنفس التمظهر وبنفس القوة التي تقع في الشرق» (Monchicourt, Ch. 1910: 279).

تتميّز الاحتفالات بعاشوراء بالعديد من الجوانب التي تعكس عمق المعاني الروحية والاجتماعية لهذه المناسبة. من أبرز ما يميزها هو

الطعام الذي يُعدّ بطريقة خاصة ويُعدّ جزءاً أساسياً في تحضير الاحتفالات، وتبدو مدينة تونس -أو الحاضرة- المكان الذي نجد به كثيراً من التنوع في مجال الأطباق، وهذه المناسبة تخرج عن الأنساق اليومية، فيكون الأكل والطعام السمة التي تطبع هذه المناسبات بالطابع الاحتفالي، فتبرز فيها الوفرة والكثرة، فتكون «فرصة للإنفاق في الأكل وخاصة في اليوم التاسع مع محرم، فيكون استهلاك الدجاج والغلال وأيضا الفواكه الجافة» (الميساوي، سهام الدبّابي، 2009: 472).

ويعتبر شارل مونشكور أنّ «السّخاء المادي والتبذير في الإنفاق على العائلة هو من باب إسعادها» (Monchicourt, Ch. 1910: 281).

إذا يبدو من الوهلة الأولى أنّ الحدود موجودة في الاحتفال بعاشوراء في مستوى الحاضرة والتي تحيل إلى عراقية التحضر بها وقدرة طبقتها الأرستقراطية على الإنفاق بسخاء، ونوعية الأكل التي تبرز في استهلاك الفواكه الجافة، وهذا لعمرى حدود تعكس الفوارق الاجتماعية والمجالية. «وما يدعم هذه الفكرة هو عملية شراء الآلات الموسيقية ولعب الأطفال التي تتمّ بهذه المناسبة» (Monchicourt, Ch. 1910: 281).

يُعدّ إضرام النيران مظهرًا بارزًا آخر من مظاهر الاحتفال بذكرى عاشوراء، ويحظى بأهمية كبيرة ضمن الطقوس الاحتفالية المصاحبة لهذه المناسبة. حيث تتباين التسميات والمصطلحات المحلية التي تصف هذا التقليد من منطقة إلى أخرى، «فمن "لهجية" بالقيروان إلى "لهلية" بمدينة تونس إلى "عمّي عوف بتكرونة" إلى عوف في باقي الأرياف» (Monchicourt, Ch. 1910: 293).

إذا أخذنا نموذج مدينة القيروان في عادة إضرام النار، فإننا نجد عديد المميّزات الخاصة بهذه المدينة، أولها تجميع من مادة "القطف" (أنظر التعليق رقم: 16) الموجودة حول المدينة. وبما أنّ المدينة مكوّنة من أربعة أحياء أساسية (حومة الجامع، الشّرفة، القبليّة والجبالية) فإنّ كلّ واحدة من هذه الأحياء ستتكلّف بيوم خاص بها تجمع فيه الحطب وتُضرم فيه النار، وتبدأ من اليوم الأول بحومة الجامع لتنتهي في اليوم الرابع بحي الجبالية، وسيحاول كلّ حيّ في الأثناء أن تكون قوّة النار وتوهّجها فيه هي الأفضل بالمقارنة مع الأحياء الأخرى.

تحاول مدينة القيروان برمزيّتها وبمكانيّتها الاعتبارية والدينية أن تجد أسلوبا خاصا بها بفصلها وتمييزها عن المدن الأخرى، وذلك بالدخول في سباق بين أحيائها في قدرة كلّ حي على أن يخرج هو الأقوى والمنتصر.

في مدينة القيروان، يقتصر التدقيق في مناسبات عاشوراء على عادات محددة، حيث يقوم الميسورون بختان العديد من الأطفال الفقراء واليتامى. كما تستغل النساء، وخاصة الزوجات، هذه المناسبة لاقتناء ثياب جديدة لأنفسهن ولأبنائهن، وقد يمتد الكرم ليصل إلى تجديد الزوج لخزانة ملابس زوجته، مما يعكس جانباً من السخاء والاهتمام في هذه الفترة.

جاء آنفا تهّم هذه المظاهر الاحتفالية فئات اجتماعية ميسورة وحضرية بالأساس، «أمّا الأرياف والبدو فليست لديهم أشياء خاصّة بهم بخلاف استهلاك البيض وإضرام النار» (Monchicourt, Ch. 1910: 285).

أمّا بمدينة الكاف فتتشط في هذه المناسبة عملية بيع وشراء الطبول، وهي تُصنع من جلود الأضاحي «وتقوم النسوة والأطفال بالقرع

على الطبول يوم عاشوراء لمدة نصف ساعة» (Monchicourt, Ch. 1910: 285).

"الكرنفال" هو مظهر احتفالي يجمع سكان المدينة من مختلف الأحياء في ساحة مركزية، كما هو الحال في مدينة الكاف. تبدأ الفرقة بفرقة موسيقية تجوب أرجاء المدينة برفقة عازف طبل، وينتهي التجمّع عند مقام الولي الصالح "سيدي قدّور" شيخ الطريقة القادرية. يتخلل العرض أداء ثلاثة عناصر من الفرقة للرقص، مما يضفي أجواء من البهجة والاحتفال على المناسبة.

إنّ هذه الأجواء الاحتفالية تتخلّلها عروضاً فرجويّة وحركات تقليد لبعض الحيوانات مثل الدبّ «وذلك بتقليد طريقة المشي وتقليد الأصوات بمصاحبة نقرات الدفّ، كما يقومون بارتداء أغطية تمكّنهم من التكرّر بشكل جيّد حتى لا يظهر شيء من أجسام المقلّدين وخاصة أطرافهم» (Monchicourt, Ch. 1910: 288).

يُعتبر الجزء الأهمّ من هذا العرض الفرجويّ من المسرحيّة المعنونة بـ"شايب عاشوراء" ويتلخّص محتوى هذه المسرحيّة في «علاقة بين زوجين يكون فيها الزوج غير مهتمّ ومهمّل لزوجته، فتغادر هذه الأخيرة منزلها، فيقوم الزوج برفع شكوى لدى القاضي فيُفاجئ بحكم القاضي الذي كان لفائدة الزوجة، والسبب في ذلك هو رغبة القاضي في الزواج من المشتكى بها، فيقوم بتطليقها من زوجها ويتزوّج القاضي بها» (Monchicourt, Ch. 1910: 288).

يقدم العرض محتوى عاماً شاملاً، مع إمكانيّة وجود بعض التعديلات الطفيفة. كما أشار الكاتب إلى أنّ أفضل الفرق تتركز في

منطقتي الجريد (أنظر التعليق رقم: 17) والكاف (أنظر التعليق رقم: 18)، مما يعكس تقوّق هذه المناطق في المجال المعني.

من خلال ما سبق، يمكننا استنتاج مجموعة من الفروق التي تميّز احتفالات عاشوراء في السياق التونسي، والتي تعكس تنوعاً ثقافياً واجتماعياً مميزاً، تُظهر هذه الاحتفالات تواجدها في العديد من المدن، حيث يتمّ تقديم عروض فنيّة متكاملة تجمع بين الرقص والغناء والفرجة بشكل متناعم، ممّا يعكس ثراء التراث الشعبي وتنوعه. كما أنّ الأجواء الاحتفالية، رغم طابعها البهيج، لا تغفل إمكانية التطرّق إلى القضايا السياسية والاجتماعية المعاصرة، حيث يتمّ بثّ رسائل ناقدة للوضع القائم وتجاوزات المسؤولين ضمن هذه العروض، ممّا يدلّ على ارتباط الفنون الشعبيّة بالواقع اليومي للمجتمع.

بالإضافة إلى ذلك، فإنّ الاحتفال بعاشوراء في جوهره هو تذكّار لحادثة حزبية تاريخية، غير أنّ التونسيين يتعاملون معه برؤية تحتفي بالحياة ومباهجها، معزّزين بذلك ثقافة الحب والانتصار على ثقافة الموت والحزن السائدة في بعض تقاليد الاحتفال الأخرى.

من الجدير بالذكر أنّ المناطق مثل الجريد والكاف تلعب دوراً بارزاً في إحياء هذه الفعاليّات، حيث كانت انطلاقاً العديد من الفرق المسرحية النّاجحة، ممّا يعكس أهميّة هذه المناطق باعتبارها مراكزاً ثقافية وإبداعية.

كما أنّ الاحتفال يتجاوز حدود الجغرافيا والفئات الاجتماعية ليشمل حدوداً نوعية، فمن جهة، تُنظّم عروض متعدّدة يقوم بها الرجال في الأماكن العامة، ومن جهة أخرى تقام فعاليات نسائية في الخصوصية المنزلية تشمل تمثيلاً درامياً مبتكراً يعكس أدواراً

مجتمعية وتقاليد محلية، مثل تقمص دور أم في حالة ولادة يُولَد خلالها مولود رمزي.

في النهاية، تتجلى هذه الحدود في الفوارق بين الاحتفالات الحضرية التي تتميز بالتنوع في الأطعمة والملابس وإنفاق الموارد وبين الاحتفالات القروية التي تشتهر بإشعال النار كرمز احتفالي، مع اختلاف أسماء ومظاهر هذه الاحتفالات من منطقة إلى أخرى. ويتوج كل هذا في أسلوب فرجي أو كرنفالي يبعث على الفرح والابتهاج، رمزاً لانفتاح الثقافة على التعبيرات الجميلة التي تتخطى كل الحدود الجغرافية والاجتماعية والإنسانية.

2 - الاعتقاد في الأولياء والممارسات الاحتفالية المرتبطة به:

لقد لفت انتباه الفرنسيين منذ دخولهم البلاد التونسية هو الدور الذي يلعبه الأولياء في تشكيل البنية الذهنية للتونسي.

يمكن أن يظهر هذا التدين الشعبي المجسد في الأولياء ممارسات وطقوس وشعائر. ومن بين هذه الاحتفالات التي نجدها "الزردة"، والتي تحدث عنها "ديميرسمين" (Demeerseman) في منطقة خمير و«عن رسوخها في هذه المنطقة باعتبارها منطقة معزولة من الناحية الدينية والسياسية، وبالتالي ترك التأويل للعادات بما فيها الزردة» (DEMEERSEMAN, R., 1939, 4)، وقد تكون العزلة انعكاسات على نوعية الاحتفالات وتوجهها. وهؤلاء المعتقدون في قدرات الولي لا يتوانون عن أي إنفاق من أجله فهو "حبيب ربّي" وله بركة من الله.

كما يُحظى الولي بالزيارة، التي تأخذ أشكالا مختلفة منها الوعدة البسيطة التي تكون في شكل طعام بسيط مثل العصيدة والبسيصة والتي تختصّ بها النساء.

تُعدّ "الوَعْدَة" من المفاهيم الأساسية التي تُحظى بأهمية كبيرة في حياة الفرد، كما أنها تمثل «الشراكة بين الولي وصاحب الوعدة ويتم فيه الذبح داخل المزار أو الولي، ويعتمدونها لأسباب كثيرة منها ما هو متعلّق بمرض الماشية أو العقم، أو موت الأطفال في سن مبكرة» (DEMEERSEMAN, R., 1939, 7).

أمّا الزردة الكبرى أو التقليدية، وهي تهمنا أكثر في مستوى الاحتفالات «وهي تلك التي يتم فيها الذبح بشكل كبير، وهي تقام مرّة كل سنة ويتم فيها توزيع اللحم على أهالي القرية». إن مصطلح "الزردة" عادة ما يكون مرفوقا بالطعام، «فرزدة لُغة تعني ابتلاع الطعام دفعة واحدة، أمّا في جوهرها فهي مشاركة الأكل مع الأتباع والمريدين، وتكون الزردة الكبرى محدّدة بتاريخ لعموم الناس وتقام فيها الخرجة ويُرفع فيها علم الولي ليتحوّل الموكب للتجوال في أرجاء القرية وسط زغردة النسوة» (DEMEERSEMAN, R., 1939, 24).

أمّا بالنسبة لتكرونة وبحسب كتابات "وليام مارسى" (M. Marçais)، فإنّ الزيارة التي تتمّ للولي "سيدي القارصي" هي مناسبة احتفالية بالنسبة لسكان القرية، ينتظرها الجميع على «خاطر الزهو والفلذكة» (MARÇAIS, W. et GUIGA, A.R, 1925: 84)، وهي تأتي بعد فصل الصيف وبعد الاطمئنان على المثونة فهم في حاجة إلى الترويح عن نفسه «وعادة الواحد شايش كان للزهو والطرب باش ينسى جميع الهموم» (MARÇAIS, W. et GUIGA, A.R, 1925: 84).

يواصل "مارسي" في سرد هذه الأجواء الاحتفالية بتكرونة «تخرج النساء بالغناء والزغاريط والرجال مع الزوايل، ثم يلتقي الجميع في طريق القارص» (MARÇAIS, W. et GUIGA, A.R, 1925: 88).

«قفزوا الأولاد والبنات من تحت الخفاف ودبوا على رجليهم بالتصفيق والغنا وهازهم هوى الطرب وهما مخططين حمص وزبيب كبش ونعجة... وصوبت وحده تنخ الأولاد والبنات يدربكو لها ويصفقوا» (MARÇAIS, W. et GUIGA, A.R, 1925 : 88).

ما يلاحظ في الاختلافات بالزردة وزيارة الأولياء سواء كان في منطقة خمير أو في تكرونة، هي أهمية الاختلاط الموجودة في مثل هذه المناسبات، وبالخاصة داخل الوسط القروي، حيث تكون الحدود في الاختلاط بين الجنسين شبه مفقودة، وتبينها بشكل جيد النص الذي أورده "وليام مارسي" (M. Marçais) في نصّه الخاص بالزردة «... النساء والرجال هابطة زوج بعد زوج وساعة بعد ساعة مرّاه وراجل وهما دازين الحرك لاحشمه ولا جعره الناس الكل هازها الوجد هذه الزيارة ما فيها لوم» (MARÇAIS, W. et GUIGA, A.R, 1925: 100).

هذه الاحتفالات التي تبدأ بأجواء دينية خاشعة ومفعمة برمزيّتها الروحية، لتخفي بداخلها حقيقة ثانية أنّ التونسي البسيط يعشق الأجواء المرحّة والمقبلة على الحياة بكلّ مكدّاتها.

خاتمة:

إنّ الإنسان بحكم حياته اليومية الرّتيبة والمتكرّرة، فإنّه خلق لنفسه مناسبات واحتفالات يخرج فيها الناس عن النّظم المتكرّرة، وهذا الحدّ الفاصل بين الاثنين هو الذي يخلق الجوّ الاحتفالي والذي تتجلّى فيه حياة المجموعة باختلافاتها الاجتماعيّة، حيث تبرز هذه

الفوارق وتظهر من خلال درجة الإنفاق، كما يمكن فرز ثقافات محلية يغلب عليها طابع البداوة، واحتفالات أخرى متجذرة في أرسقراطيتها، كما يمكن أن تعكس هذه الاحتفالات خلال المرحلة الاستعمارية الفروق المجالية التي بدورها يمكن أن تتواجد بها حدودا تبرز مدى تجذر بعض الممارسات الاحتفالية والتي تعكس في الكثير من الأحيان تراكم حضاريا وإنسانيا متعدد الأبعاد.

التعليقات:

- 1 - مجلة تصدر بتونس منذ عام 1937 واسمها (IBLA) هو اختصار لاسم معهد الآداب العربية الجميلة.
- 2 - كتاب "النصوص العربية لتكرونة" الصادر سنة 1925 بمساعدة عبد الرحمان قيقه والتي جاءت نصوصها كأنها شهادة حية عن الحياة التي يخوضها سكان قرية تكرونة وخاصة احتفالات الزواج.
- 3 - مطماطة، مدينة بالجنوب التونسي.
- 4 - الجحفة: عادة زفاف تقليدية يتم فيها نقل العروس إلى منزل زوجها على ظهر جمل، وتعتبر من أبرز العادات في الجنوب التونسي. تتكون الجحفة من هيكل خشبي مصنوع من جريد النخيل، ويتم تزيينه بشكل فني، ويوضع عليه العروس.
- 5 - قبيلة بالجنوب الشرقي التونسي.
- 6 - مجموعة من القبائل استوطنوا مدينة جرجيس في تونس.
- 7 - تقع مدينة جرجيس في الجنوب الشرقي للبلاد التونسية على بعد 540 كم من العاصمة تونس.
- 8 - رقصة جماعية نسائية يقوم خلالها بتحريك رؤوسهن لميل شعروهن.
- 9 - تكرونة: قرية جبلية تنتمي لمنطقة الساحل (النفيسة سيدي بوعلي بالقرب من مدينة سوسة تونس).
- 10 - أكلة تصنع من الطحين.
- 11 - المندرة هي عملية درس المحصول الزراعي وخاصة الحبوب.

- 12 -منطقة جبلية بالشمال التونسي.
- 13 -عملية ذرّ الحبوب لتصفيته من الشوائب .
- 14 -انطلاق موسم الحصاد.
- 15 -تبركا بوفرة المحصول الزراعي.
- 16 -الحطب الرقيق الجاف، سريع الاشتعال.
- 17 -منطقة بالجنوب الغربي التونسي.
- 18 -منطقة بالشمال الغربي التونسي.

قائمة المصادر والمراجع:

- المصادر:

- 1- DEMEERSEMAN, R. P., (1939), «Les Cultes de saints en Kroumirie », *Revue IBLA*, p. 3-26.
- 2- HARRY, Myriam, (1910), *Tunis la Blanche*, Paris, Arthème Fayard.
- 3- LEMANSKI, Dr., (1900), «La Psychologie de la femme arabe», *Revue Tunisienne*, Col. 25, p87-94 .
- 4- LETELLIER, G., (1937), «Coutumes champêtres en Kroumirie» , *Revue IBLA*, Vol. 1 , 3^{ème} trimestre, p.54-57
- 5- MENUILLARD, H., (1906), «La tonte des moutons (ez-zeza)», *La Revue Tunisienne*, XIII, p117-121.
- 6- MENUILLARD, H., (1910), «Pratiques pour solliciter la pluie», *La Revue Tunisienne*, Vol. 79, p302-305 .
- 7- MENUILLARD, H., (1902), «Un mariage dans le Sud Tunisien (Matmata)», *La Revue Tunisienne*, IX, p372-375.
- 8- MENUILLARD, H., (1905), «Une noce à Zarzis : la danse des cheveux», *La Revue Tunisienne*, 12^{ème} année, n° 49, p3-8, Tunis, Société Anonyme de L'imprimerie Rapide
- 9- MONCHICOURT, Ch., (1910), «La fête de Achoura», *La Revue Tunisienne*, XVII, p. 278-301 .
- 10- MARÇAIS, W. et GUIGA, A.R, (1925), *Textes arabes de Takroûna, transcription, traduction annotée, glossaire*, Imprimerie Nationale, Edition Ernest Le Roux.

- المراجع:

- 11 -بشروش، توفيق، (2013)، *الوليّ الصالح والأمير في البلاد التونسية*، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس، الجزء الثاني.

- 12 -العروي، عبد الله، (1984)، *ثقافتنا في ضوء التاريخ*، بيروت، دار التنوير والنشر، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- 13 -الميساوي، سهام الدبابي، (2009)، *الطعام والشراب في التراث العربي*، تونس: كلية الآداب والإنسانيات بمنوبة.

